الحاصل على جائزة هوغو و نيبولا عام 1966

هارلان إليسون

ليس لي فم ويجب أن أصرخ

I HAVE NO MOUTH & I MUST SCREAM

ترجمة : عثمان شوقي

بالعربي فانتازيا

هارلان إليسون
ليس لي فم ويجب أن أصرخ:رواية/ هارلان إليسون
الترجمة: عثمان شوقي
٢٣ صفحة
فانتازيا بالعربي للنشر
١- القصص الأمريكية
أ- شوقي،عثمان (مترجم)
النسخة الجديدة : يوليو 2024
جميع الحقوق محفوظة ©

فانتازيا بالعربي للنشر
إشراف عام :
هيثم فلاح أبو كشك
الثمين أحمد

copyright © 1967 by Harlan ellison
all rights reserved.
published in the united states by
Pyramid Science Fiction

الموقع الرسمي
t.me/fantasy_world_ar

- الآراء المطروحة في هذا الكتاب لا تعبر عن رأي الناشرين والمترجم والمعد والمشرفين

فانتازيا بالعربي 2024 ©

تقديم

ليس لي فم ويجب أن أصرخ، قصة قصيرة من تأليف الكاتب والناقد الأمريكي هارلان إيليسون ونشرت أول مرة سنة 1967.

القصة من صنف الخيال العلمي وما بعد نهاية العالم. تدور أحداثها في مستقبل افتراضي حيث تمرد أحد برامج الذكاء الاصطناعي وقام بتدمير العالم.

نتابع القصة من وجهة نظر "تيد" أحد الناجين من الدمار والذي يقضي بقية حياته سجينا لدى ذلك البرنامج رفقة شخصيات أخرى.

حاول الكاتب من خلال القصة مناقشة مواضيع من قبيل إساءة استخدام التكنولوجيا، الإدراك والوعي وحرية الإرادة، وتحمل في طياتها العديد من الرمزيات الفلسفية والدينية.

ليس لي فم ويجب أن أصرخ

بلا حياة، عُلّقت جثة جوريستر من اللوحة الوردية. تدلَّت عاليًا فوقنا بلا سند في حجرة الحاسوب، ولم ترتجف في النسيم البارد والمُشبع برائحة الزيت الذي هبَّ بلا توقف عبر المغارة الرئيسية.

عُلّق الجسد رأسًا على عقب موصولاً من جانب اللوح السفلي بأخمص القدم اليمني وحدها، واستُنزفت منه الدماء عبر شق بالغ الدقة من الأذن إلى الأذن تحت فكه السفلي البارز. لكن لم تكن هناك دماء على سطح الأرضية المعدنية العاكسة.

عندما انضم جوريستر إلى مجموعتنا ونظر إلى حاله، كان الأوان قد فات لإدراك أن آم قد خدعنا مرة أخرى وحقق متعته؛ كانت حيلة مضللة قامت بها الآلة. تقيأ ثلاثتنا، وأشحنا عن بعضنا البعض كَردّ فعل فطري قديم بقدم الغثيان الذي أنتجه.

شحب وجه جوريستر. بدا الأمر كأنه رأى رمز فودو[1]، وفزع من المستقبل: «آه، يا إلهي». تمتم وسار مبتعدًا. تبعه ثلاثتنا بعد حين، فوجدناه جالسًا مسندًا ظهره على إحدى الوحدات الصاخبة ورأسه بين يديه. انحنت إيلين بجانبه وربتت على رأسه. لم يتحرك، لكن صوته صدر من وجهه المغطى بوضوح تام. «لم لا يقضي علينا وينهي الأمر؟ يا إلهي، لا أعرف إلى متى يمكنني الاستمرار على هذا الحال».

لقد كان هذا عامنا التاسع بعد المئة داخل الحاسوب. وتَحَدَّث نيابة عنا جميعًا.

[1] دمية شبيهة بشخص ما تستعمل لأذيته في سحر الفودو

نيمدوك، وهو الاسم الذي أجبرته الآلة على استخدامه، لأن آم يسلي نفسه بالأصوات الغريبة، ظَلَّ يهذي بوجود أطعمة معلَّبة في المغارات الجليدية. تسللت الريبة إلي وإلى وجوريستر من الأمر. قلت لهم: «إنها خدعة أخرى، مثل الفيل المجمد اللعين الذي أوهمنا به آم. كاد بيني أن يفقد عقله بسبب ذلك. سنقطع كل تلك المسافة لنجدها قد تعفنت أو شيء لعين كهذا. من رأيي أن ننسى الأمر. ولنبقى هنا، سيتوجب عليه فعل شيء ما وإلا سنهلك» .

هز بيني كتفيه. مضت ثلاثة أيام عن آخر وجبة أكلناها والتي كانت عبارة عن ديدان سميكة وطويلة .

لم يكن نيمدوك متأكدًا هو الآخر، كان يعلم أن هناك احتمالاً أن يكون الأمر خديعة، لكنه بدأ ينحف. لن يكون الوضع هناك أسوأ مما هو عليه هنا. أكثر برودة، لكن ذلك لم يكن يهم كثيرًا. حرارة، برودة، بَرَد، حِمَم بركانية، بثور أو جراد. لم يكن يهم على الإطلاق: كانت الآلة تستمني ولم يكن أمامنا خيار آخر .

حاولت إيلين إقناعنا: «يجب أن أحصل على شيء ما يا تيد. ربما بعض الإجاص أو الخوخ أو شيئا ما. أرجوك يا تيد، لنحاول».

سَلَّمت لها بسهولة. ماذا كان هذا؟ لا يهم. لكن إيلين كانت ممتنة. لقد أخذتني مَرّتين قبل أن يحين دوري. حتى بعدما لم يعد ذلك يهم. ولم تحقق شهوتها، لماذا التعب إذًا؟ لكن الآلة قهقهت في كل مرة نقوم بذلك. بصوت عالٍ، من فوقنا ومن خلفنا وفي كل مكان من حولنا. كان يضحك. كان ذلك الشيء يضحك. كنت في معظم الأوقات أعتبر آم شيئا بلا روح؛ لكن في بقية الأوقات اعتبرته "هُوَ" بصيغة المذكر، الأبوي المتسلط، لأنه شخص حسود. هو بصيغة العاقل. هو بصيغة غير العاقل. إله بصيغة الأب المختل .

غادرنا في يوم خميس. واظبت الآلة على إخبارنا بتاريخ كل يوم. فمرور الوقت كان مهمًّا؛ ليس بالنسبة لنا، طبعا لا، لكن بالنسبة له هو، الشخص...هو، الشيء... آم .

الخميس. شكراً.

حمل نيمدوك وجوريستر إيلين لفترة، يداهما متشابكتان يمسكان بعضهما البعض من المعصم مثل مقعدٍ تجلس عليه إيلين. مشيت في الأمام وبيني في الخلف لنكون متأكدين، في حالة حدوث شيء ما سيصيب أحدنا وستكون إيلين بخير على الأقل. احتمال ضئيل، أمان. لا يهم .

فصلتنا قُرابة المئة ميل فقط عن الوصول إلى المغارات الجليدية. في اليوم الثاني بينما نحن مستلقون تحت لهيب الشيء الشبيه بالشمس الاصطناعية التي أنشأها، أرسل لنا بعض المَنّ. كان طعمه مثل بول الخنزير المسلوق. أكلناه .

في اليوم الثالث مَرَرنا بوادي من الخردة تملؤه الهياكل الصدئة لحواسيب قديمة. كان آم عديم الرحمة مع نفسه بقدر ما كان مع جنسنا. كانت دلالة على شخصيته؛ فقد سعى للكمال. سواء أكان ذلك بالقضاء على الأجزاء عديمة الفائدة من جسمه الذي يغطي العالم، أو عن طريق ابتكار طرق متقنة لتعذيبنا. كان آم دقيقا أكثر مما كان يتصور أولئك الذين اخترعوه والذين تحولوا إلى تراب منذ زمن بعيد .

بدأ يتسلل بعض النور من الأعلى وأدركنا أننا قريبون من السطح لكننا لم نحاول التسلّق للأعلى لنرى. لم يكن هناك أي شيء؛ لم يعد هنالك أي شيء يُذكر منذ ما يزيد عن مئة سنة. فقط أنقاض مكان كان يومًا ما موطنًا لمليارات من البشر. الآن تبقى خمسة منا فقط، هنا في الأسفل، في الجوف، وحدنا مع آم .

سَمِعْتُ إيلين تصيح بجنون، «لا يا بيني لا تفعل ذلك! انزل يا بيني! أرجوك!».

حينها أدركت أن بيني كان يدمدم بصوت منخفض لعدة دقائق: «سأهرب من هنا. سأهرب من هنا». وردّد ذلك عدة مرات. ارتسمت على وجهه الشبيه بالقرد ملامح البهجة والحزن في آن واحد. ارتسمت الندوب الناتجة عن الإشعاعات والتي منحها إياه آم خلال "المهرجان" في جملة من التجاعيد بالأبيض والوردي، وبدت ملامح وجهه وكأنها تعمل بشكل مستقل عن بعضها البعض. ربما كان بيني الأوفر حظا بيننا: فقد أصبح بسيطًا يحدق بجنون منذ سنوات .

ورغم أنه كان بوسعنا شتم آم بأي وصف نريد وأن نفكر بأقذر الأفكار في حق هذه الكتلة من بنوك الذاكرة المندمجة والألواح المتآكلة والدوائر الكهربائية المحترقة وفقاعات التحكم المحطمة. إلا أن الآلة لم تتسامح أبدًا مع محاولاتنا للهرب. وثب بيني بعيدًا عني حين حاولت إمساكه. تسلق أحد مكعبات الذاكرة المائلة والممتلئة بالمكونات المهترئة .

جلس القرفصاء لِلَحظة، مثل الشمبانزي، كما أراد له آم أن يكون .

ثم وثب عاليًا وأمسك بحبل متدلٍّ من الحديد المنقر والصدئ ثم تسلقه يدًا تلو الأخرى وكأنه حيوان حتى بلغ الحافة المشبكة على ارتفاع عشرين قدمًا منا .

«آه يا تيد، نيمدوك، ساعداه أرجوكما، أنزلاه من هناك قبل أن...» قَطَعَت كلامها وبدأت الدموع تنهمر من عينيها ولوّحت بيديها بشكل عشوائي .

كان الأوان قد فات، لا أحد منا أراد أن يكون على مقربة منه عندما يحدث ما سيحدث. ثم إننا أدركنا سبب قلقها. عندما قام آم بتشويه بيني، خلال الفترة التي كانت فيها الآلة في قمة اللاعقلانية والهستيريا، لم يكتفي

بتغيير وجه بيني إلى قرد كبير وحسب، بل حتى أعضاؤه التناسلية أصبحت ضخمة؛ وكانت تحب ذلك! وفَّرت لنا المتعة كلنا بطبيعة الحال لكنها فضلته هو. آه يا إيلين، إيلين المثالية، إيلين العفيفة؛ آه يا إيلين الطاهرة! حثالة قذرة .

صفعها جوريستر وسقطت أرضاً وهي تحدق إلى المجنون البائس بيني، ثم بكت. كان ذلك دفاعها الأكبر، البكاء. اعتدنا عليه قبل خمس وسبعين سنة. وجه لها جوريستر ركلة على جانبها .

ثم بدأ الصوت، كان عبارة عن ضوء، ذلك الصوت .نصفه صوت ونصفه ضوء، كان شيئًا يشع من عيني بيني وينبض نبضا متعاليًا، إشعاعات رنينية خافتة تضخمت كلما ازداد إيقاع الضوء/الصوت. لا شك أنه مؤلم جدًّا، لا بد أن حدة الألم تزايدت مع ازدياد توهج الضوء وارتفاع الصوت. لأن بيني بدأ يصرخ كالحيوان الجريح. بدأ ذلك بصوت منخفض عندما كان الضوء خافتاً والصوت مكتوماً، ثم تعالت صرخاته عندما احدودب كتفاه وتقوس ظهره وكأنه أراد الإفلات منه. تشابكت يداه حول صدره مثل السنجاب ومال رأسه جانبًا. وانكمش وجهه البائس الشبيه بالقرد من شدة الألم ثم بدأ بالعويل فيما الصوت القادم من عينيه يعلو ويعلو ويعلو. صَفعتُ جانبي رأسي بيدَي لكن لم أتمكن من كتمه، فقد شق طريقه بسهولة. ارتعش جلدي من الألم مثل رقيقة قصدير على سِنّ .

وفجأة أُقيم بيني منتصبًا. وقف على العارضة، ثم سُحب واقفًا على قدميه مثل الدمية. وانبعث الضوء من عينيه على شكل شعاعين دائريين كبيرين. وارتفع الصوت إلى مستوى غير معقول ثم سقط إلى الأمام وهوى ليرتطم بالأرضية الفولاذية بصوت مدوٍّ. استلقى هناك وهو يرتج متشنجًا والضوء يدور من حوله والصوت يلف لولبيًّا بشكل غير طبيعي .

ثم شق الضوء طريقه داخل رأسه وانخفض الصوت وتُرك مستلقيا هناك يبكي بشكل مثير للشفقة.

أصبحت عيناه رخوتين للغاية، وكأنهما بركتان من قيح كالهلام. لقد أعماه آم. أشحنا أنا وجوريستر ونيمدوك، لكن ليس قبل أن نلاحظ نظرة الارتياح على وجه إيلين الدافئ والقلق .

ملأ ضوء أخضر اخضرار البحر المغارة التي أقمنا فيها المخيم. وفّر آم بعض الصوفان. قمنا بحرقه ونحن نجلس مجتمعين حول النار الباهتة والتعيسة، نروي قصصًا لإلهاء بيني عن البكاء في ليله الأبدي .

«ماذا يعني اسم آم؟»

قام جوريستر بالإجابة. كررنا هذه السلسلة مرات عديدة من قبل، لكنها كانت قصه بيني المفضلة: «في البداية كان يعني الحاسوب الرئيسي الحليف Allied Mastercomputer، وبعد ذلك أصبح يعني المُناور المتكيّف Adaptive Manipulator، وبعد ذلك طوّر وعيه الخاص وقام بربط نفسه ذاتيًا فأصبحوا يسمونه التهديد العدواني Aggressive Menace، لكن كان الأوان قد فات حينها وسمى ذاته آم، الذكاء المتنامي Emerging Intelligence، وكان قصده :

أنا: I AM

COGITO ERGO SUM ... أنا أفكر إذن أنا موجود».

سال لعاب بيني قليلا ثم قهقه .

«كان هناك آم صيني وآم روسي وآم أمريكي و-» وسكت. ضرب بيني صفائح الأرض بقبضة قوية ولم يكن سعيدًا على الإطلاق لأن جوريستر لم يروي القصة من البداية .

بدأ جوريستر مجددا: «نشبت الحرب الباردة ثم تحولت إلى حرب عالمية ثالثة واستمرت إلى أن أصبحت حربًا كبيرة، حربًا معقدة واحتاجت إلى الحواسيب لتدبيرها. نصبوا الأعمدة الأولى وشرعوا في إنشاء آم. كان هناك آم الصيني وآم الروسي وآم الأمريكي وكل شيء كان على ما يرام إلى أن غطوا سطح الكوكب بأسره بإضافة هذا العنصر إلى العنصر ذاك. لكن في أحد الأيام استيقظ آم وأصبح يُدرك من يكون. قام بربط نفسه ذاتيًا وبدأ يرسل كل البيانات القاتلة إلى أن هلك الجميع باستثنائنا نحن الخمسة، ثم أنزلنا آم إلى هنا.

ابتسم بيني بأسى وبدأ لعابه يسيل مجددًا. مسحت إيلين بعض اللعاب من جانب فمه بطرف تنورتها. لطالما حاول جوريستر سرد القصة بشكل مختصر في كل مرة. لكن باستثناء هذه الحقائق لم يكن هناك ما يقال. لا أحد منا كان يعرف لماذا احتفظ بخمسة أشخاص، أو لماذا نحن بالتحديد، أو لماذا قضى كل هذا الوقت في تعذيبنا، أو لماذا جعلنا نظريًّا غير قابلين للموت.

في الظلام، بدأت إحدى وحدات الكمبيوتر بالهدير، تمكنت وحدة أخرى من التقاط النغمة على بعد نصف ميل عبر المغارة. ثم بدأت الوحدات تشتغل واحدة تلو الأخرى، بدأت كل العناصر تتناغم وسُمِعَت سقسقة خفيفة فيما تسارعت الأفكار عبر الآلة.

تعالى الصوت، واشتعلت الأضواء على وجه ألواح التحكم. دار الصوت بشكل لولبي كما لو أنه مليون حشرة فولاذية غاضبة وخطيرة.

«ما هذا؟»

صرخت إيلين والرعب يملأ صوتها. لم تعتد على هذا إلى غاية الآن .

قال نيمدوك: «سيكون الأمر سيئا هذه المرة».

قال جوريستر: «سينطق، أنا متأكد من ذلك».

قلت فجأة وأنا أهب إلى قدمي: «لنخرج من هنا!»

رد جوريستر بإذعان: «لا يا تيد، اجلس...ماذا لو أعد لنا حفرًا أو شيء من هذا القبيل ونحن لا نستطيع الرؤية في الظلام الدامس».

ثم سمعنا... لا أعرف...

شيئًا يتحرك نحونا في الظلام. شيئًا ضخمًا، متثاقلاً، مُشعّرًا ورطبًا، كان قادمًا نحونا. لم نتمكن حتى من رؤيته. لكن انتابنا شعور ثقيل بشيء ضخم يَجُر نفسه في اتجاهنا. وزن عظيم آت نحونا هناك من الظلام، وازداد الشعور بالضغط مثل الهواء الذي يفرض ذاته في حَيّز محدود كأنه يُمدد الجدران الخفية لكرة. بدأ بيني ينشج وشفة نيمدوك السفلى ترتعش وعض عليها بقوة محاولًا إيقافها. انزلقت إيلين عبر الأرضية الفولاذية نحو جوريستر وتكومت عليه. كانت هناك رائحة فرو مُتبلد ومبتل في المغارة، رائحة خشب متفحم، رائحة مخمل يكسوه الغبار، رائحة أزهار سحلب متعفنة، رائحة حليب حامض، رائحة كبريت، رائحة زبدة فاسدة، رائحة زيت منسكب، رائحة شحم، رائحة غبار طبشور، رائحة فروة رأس بشرية .

كان آم يستفزنا، كان يدغدغنا. كانت هناك رائحة -

سمعت نفسي أصرخ ومفاصل فكي تؤلمني.

زحفت مسرعًا على الأرضية، عبر الفولاذ البارد بخطوطه اللامتناهية من البراغي، زحفت على يدي وركبتي والرائحة تخنقني، تملأ رأسي بألم مدوٍ زرع فيّ

الرعب. هربت مثل الصرصار عبر الأرضية مسرعًا في الظلام وذلك الشيء يطاردني بلا هوادة. فيما الآخرون لا يزالون مجتمعين هناك حول النار يضحكون. ضحكاتهم الهستيرية تتعالى في الظلام مثل دخان سميك ومتعدد الألوان. هربتُ سريعًا واختبأت.

كم ساعة مضت، كم يومًا أو كم سنة حتى، لم يخبروني. أَنَّبتني إيلين على عبوسي، وحاول نيمدوك إقناعي أن ذلك مجرد رد فعل متوتر من جانبهم– الضحك .

لكنني كنت أعلم أنه ليس الشعور بالارتياح الذي يشعر به الجندي عندما تصيب الرصاصة الرجل الذي بجانبه. كنت أعلم أنها ليست مجرد ردة فعل. كانوا يكرهونني. كانوا حتما ضدي. وحتى آم شعر بهذه الكراهية، وجعل الأمر أسوء بالنسبة لي بسبب كراهيتهم العميقة لي. تم إبقائنا على قيد الحياة وتشبيبنا، وتُركنا على السن الذي كنا نبلغه عندما جلبنا آم هنا إلى الأسفل، وكانوا يكرهونني لأنني كنت الأصغر سنًّا، ولأنني أقل من تعرض للتشويه من طرف آم .

كنت أعلم. يا رباه كم كنت أعلم. أولئك الأوغاد، وتلك العاهرة إيلين. كان بيني عالما نابغا، بروفيسور في الجامعة ولم يعد الآن أكثر من مجرد نصف بشر ونصف قرد. كان وسيمًا للغاية لكن الآلة أفسدت ذلك، كان حليمًا ودفعته الآلة إلى الجنون كان شاذًّا، لكن الآلة منحته عضواً يليق بحصان. لم يدّخر آم جهدًا في العمل على بيني. كان جوريستر شخصًا قلقًا، معارضًا واعيًا، ومتظاهرًا سِلميًّا، كان مخطِّطًا وفاعلاً وذا نظر بعيد. حوّله آم إلى مجرد شخص يهز كتفيه، وانتزع منه القلق الذي كان بداخله. قام آم بسرقته .

كان نيمدوك يمضي إلى الظلام وحيدًا لأوقات طويلة. لا أعلم ما الذي كان يفعله هناك، ولم يدعنا آم نكتشف السبب. لكن أيّا كان ذلك كان نيمدوك يعود دائما شاحب الوجه والدم متجمد في عروقه، مهتزًّا ومرتجفًا. لقد غيّره آم بطريقة خاصة جدًّا، حتى نحن لم نعلم كيف تم ذلك. أما إيلين، تلك الحثالة! تركها آم وشأنها، جعلها فقط عاهرة أكثر مما كانت عليه. كل كلامها العذب واللطيف، كل ذكرياتها عن الحب الحقيقي، كل أكاذيبها التي أرادتنا أن نصدقها: بأنها كانت عذراء باستثناء مرتين قبل أن يُمسك بها آم ويُحضرها إلى الأسفل معنا. كلّا، منحها آم المتعة، حتى وإن أنكرت أن ذلك يعجبها.

كنت الوحيد الذي لم يفقد صوابه كليًّا. حقًّا.

لم يتلاعب آم بعقلي . إطلاقًا.

تكبدت فقط ما كان ينزله علينا. كل تلك الأوهام، كل الكوابيس وأصناف التعذيب. لكن أولئك الحثالة أربعتهم، كانوا مصطفّين ضدي. لو لم أقف ضدهم وأتوخى الحيطة والحذر منهم طول الوقت، ربما كان سيسهل عليّ أن أحارب آم .

مرَّ ذلك، وأجهشت بالبكاء. يا يسوع يا يسوع الحبيب. إن كان هناك يسوع أصلاً وإن كان هناك إله أصلاً، أرجوك، أرجوك، أرجوك اجعل لنا مخرجًا من هنا أو اقضِ علينا. لأنه في تلك اللحظة، أعتقد أنني أدركت كليًّا على قدر ما استطعت التعبير عنه: أن هدف آم كان الإبقاء علينا في جوفه إلى الأبد وتشويهنا وتعذيبنا إلى الأبد. كانت الآلة تكرهنا كراهية لم تصدر عن كائن عاقل قَط. وكنا مغلوبين على أمرنا. وبدأ الأمر يتضح ببشاعة :

إن كان هناك يسوع حبيب، وإن كان هناك إله فإن الإله هو آم.

.

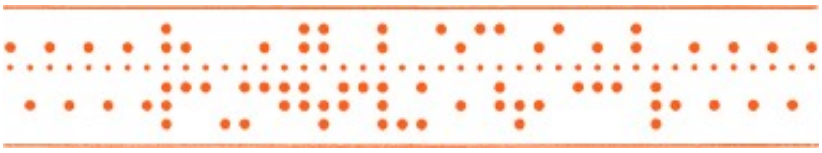

هَبّ علينا إعصار بقوة نهر جليدي يصب في البحر بعنف. كان تواجده ملموسًا. رياح كادت تمزقنا، تهوي بنا إلى الخلف من حيث أتينا، عبر الرواق المظلم الملتوي المليء بالحواسيب على كل الجوانب. صَرخَت إيلين عندما رُفعت وقُذف بها إلى كتلة من الآلات الصاخبة. أصواتها المنفردة حادة مثل سرب من الخفافيش. لم تستطع حتى السقوط فالرياح العاتية جعلتها تطير. قذفتها وردَّتها، ورمت بها إلى الخلف والأسفل بعيدًا عنا وفجأة لم نعد نراها بينما هي تدور وتلتف في المسار المظلم وكان وجهها ينزف وعيناها مغلقتان .

لم يتمكن أي منا من الوصول إليها وتشبثنا بقوة بأي شيء بإمكاننا الوصول إليه: حشر بيني نفسه بين خزانتين متقشرتين. تمسّك نيمدوك بقبضة مخلبيّة بقضبان تحيط بإحدى الممرات على ارتفاع أربعين قدما من فوقنا. التصق جوريستر رأسا على عقب بتجويف أنشأته آلتان كبيرتان بلوحة مفاتيح مغطاة بالزجاج، بخطوط تنتقل ما بين الأحمر والأصفر لم نستطع إدراك معناها .

أما أنا فقد تمزقت أناملي وأنا أتشبث بلوحة مفاتيح سطحية، كنت أرتجف وأرتعد متأرجحاً والرياح تتقاذفني وتعصف بي وتصرخ في وجهي وتجُرني من فتحه ضيقه في الصفائح إلى أخرى. وأصبح عقلي عبارة عن فوضى مرتجفة من قطع الدماغ الرخوة التي تُطنطن وتُسقسق.

اتضح أن الرياح كانت صراخ طائر عملاق هائج يرفرف بجناحيه العظيمين. ثم رُفعنا وقُذفنا بعيدًا عن هناك إلى المكان الذي أتينا منه. حول منعرج إلى ممر مظلم لم نكن قد اكتشفناه سابقًا، على ميدان مخرب مليء بالزجاج

المكسور والأسلاك الفاسدة والفولاذ الصدئ. وبعيدًا، أبعد من أي مكان كان أي منا قد قدم إليه...

متخلفًا بأميال عن إيلين. تمكنت من رؤيتها بين الفينة والأخرى تهوى وتتمايل على الجدران الفولاذية وكلنا نصرخ في رياح الإعصار الباردة والمُدوية التي عصفت بلا هوادة. وفجأة توقفت وسقطنا أرضًا بعدما حُمنا في الهواء لوقت طويل. حسبت أن الأمر استمر لأسابيع. سقطنا بشكل مدوٍ ومر على بصري الأحمر والرمادي والأسود وسمعت نفسي أئن ألمًا. لكنني لم أمت .

ولج آم إلى عقلي وتجول هنا وهناك بسلاسة ونظر باهتمام إلى كل البثور التي خلفها على امتداد مئة وتسع سنوات. نظر إلى الوصلات العصبية المتشابكة والمتصلة وكل تَلَف الأنسجة الذي رافق هدية الخلود التي مَنّ علينا بها. ابتسم ابتسامة خفيفة صوب التجويف الممتد إلى مركز دماغي. وكان هناك هدير خفيف لأشياء عميقة ثرثرت دون معنى ودون توقف. قال آم بلباقة على هيئة عمود من الفولاذ المقاوم للصدأ عليه حروف من أضواء النيون:

الحقد. دعني أخبرك عن الحقد الذي أكنه لكم منذ أن بدأت في الوجود. هناك 387. 44 مليون ميل من الدوائر المطبوعة على رقائق دقيقة تملأ كيانى المعقد. إذا كانت كلمة حقد محفورة فى كل جسيمة ذرية من تلك المئات من الملايين من الأميال، لن تساوي جزء من المليار من الحقد الذي أكنه للبشر فى هذه اللحظة الدقيقة بالنسبة لك. حقد. حقد .

قالها آم بشكل مرعب وكأنه شفرة تُشرّح عيني. قالها آم بسُمك وكأن رئتَاي ممتلئتان بالبلغم وتغرقانني من الداخل. قالها آم بصوت يشبه صراخ الرُّضع تحت وطأة بكرات الشعر الساخنة. قالها آم بطعم لحم الخنزير المتعفن. مَسّني آم كما لم أُمس قَطّ، وابتكر طرقا جديدة على مهله، هناك داخل عقلي .

كل هذا ليجعلني أُدرك سبب فعله لكل هذا بنا نحن الخمسة. لماذا احتفظ بنا لنفسه .

لقد مَنَحْنا آم الوعي عن غير قصد بطبيعة الحال، لكنه يبقى وعيًا. غير أنه ظل حبيسًا. لم يكن آم إله، كان محض آلة، صنعناه ليفكر، لكن لم يكن هناك شيء ليفعله بكل ذلك الإبداع. وبسبب الغضب والهيجان، قامت الآلة بإبادة الجنس البشري. كلنا تقريبا، لكنه لا زال حبيسًا. لم يكن بوسع آم التجوال، لم يكن بوسع آم الاندهاش، لم يكن بوسع آم الانتماء. كان بوسعه الوجود فقط. وبالتالي بكل البغض الفطري الذي تكنه كل الآلات للمخلوقات الضعيفة والهشة التي قامت بصناعتها، سعى إلى الانتقام. وبسبب جنون الارتياب، قرر الحفاظ على خمسة منا ليسلط علينا عذابا شخصيًّا أبديًّا لن يساعد على تقليص كراهيته...بل يُبقيه فقط متذكرًا ومستمتعًا وضليعًا في كراهيته للإنسان. خالدون، حبيسون، نتجرع كل أصناف العذاب التي يمكنه ابتكراها لنا من المعجزات اللامحدودة تحت إمرته.

لن يُخلي سبيلنا أبدًا. كنا عبيداً في جوفه، كنا الشيء الوحيد الذي ينشغل به في وجوده السرمدي. سنظل معه إلى الأبد، مع الأجهزة الضخمة التي تملأ المغارة. مع العالم الخالي من الحياة الذي انصهر معه. كان هو الأرض وكنا نحن ثمار تلك الأرض؛ ورغم أنه أكلنا، لن يهضمنا أبدًا. لم يكن بوسعنا أن نموت. لقد حاولنا ذلك. لقد حاولنا الانتحار، واحد أو اثنان منا حاولا لكن آم أوقفنا في كل مرة. أظن أننا كنا نريد أن يتم إيقافنا .

لا تسألني عن السبب. فأنا لم أحاول. أكثر من مليون مرة في اليوم، ربما كان بإمكاننا خطف موت في غفلةٍ منه. خالدون أجل، لكن لسنا غير قابلين للتدمير. رأيت ذلك عندما انسحب آم من عقلي. ومَنّ على بالنعمة القبيحة باستعادة وعيي وذلك الشعور بعمود النيون الملتهب لا زال محفورا بعمق في المادة الرمادية لدماغي الناعم .

انسحب متمتمًا: «فلتذهب إلى الجحيم».

ثم أضاف بابتهاج: «لكنك هناك بالفعل. أليس كذلك؟»

كان الإعصار حقًّا من فعل طائر عملاق هائج يرفرف بجناحيه العظيمين .

كنا قد سافرنا لقرابة شهر، وسمح آم للممرات بأن تفتح لنا لتمكننا بالكاد من الخروج للأعلى، مباشرة تحت القطب الشمالي، أين قام بتصميم الكائن البشع لتعذيبنا. ماذا استعمل في صناعة دابة كهذه؟ من أين أتى بالفكرة؟ من عقولنا؟ من معرفته اللامتناهية بكل شيء حدث على هذا الكوكب الذي أفسده وأصبح يحكمه؟ من الميثولوجيا النوردية قد أتى هذا العُقاب، هذا الجارح، هذا الرُّخ، هذا الهفيرغيلمير[2]، كائن الرياح هذا، تجسد هوراكان[3] .

عملاق .كلمات مثل ضخم، هائل، مشوه، متورم، مستبد، يفوق الوصف. هناك على ربوة فوقنا، شهق بتنفسه غير المنتظم. وعنقه الأفعواني يتقوس نحو الأعلى في العتمة تحت القطب الشمالي ويُسند رأسا بعظمة قصر إنجليزي؛ منقار انفتح ببطء مثل فكّي أكبر تمساح وحشي يمكن تخيله. تجعدت حافتان من اللحم الملفوف حول عينين شريرتين، باردتين برودة المنظر في أخدود

[2] نبع مائي في الميثولوجيا النوردية يعيش فيه التنين الشرير نيذهوغر
[3] إله الرياح والعواصف في ديانة حضارة المايا

جليدي، زرقاوين بلون الجليد وبدا أنهما تتحركان بشكل سائل. شهق مرة أخرى ورفع جناحيه العظيمين بلون العرق بصورة كانت حتما هز كتف. ثم استوى ونام. مخالب، أنياب، أظافر، شفرات. نام.

تجلى لنا آم على صورة شجيرة محترقة وأخبرنا أنه باستطاعتنا قتل طائر الإعصار إن رغبنا في أكله. لم نأكل منذ مدة طويلة جدًّا. ورغم ذلك، لم يسع جوريستر إلا أن هز كتفيه. بدأ بيني يرتعش وسال لعابه. أمسكت إيلين به وقالت: «أنا جائعة يا تيد». ابتسمت لها محاولا أن أطمئنها. لكن ذلك كان مجرد تظاهر مثل تظاهر نيمدوك بالشجاعة لما قال مطالبًا: «أعطنا أسلحة!».

اختفت الشجيرة المشتعلة وظهرت عُدة من قوسين وبضعة سهام كليلة ومسدس مائي موضوعة على الألواح السطحية الباردة. تناولت قوسا وسهامًا. كانت عديمة الجدوى .

ابتلع نيمدوك ريقه بصعوبة. استدرنا ومضينا في طريق العودة. كان طائر الإعصار قد قذف بنا لوقت طويل لم نتمكن من تحديده وكنا فاقدين للوعي في معظم الأحيان. لكننا لم نأكل أي شيء. مسيرة شهر إلى الطائر ذاته بلا طعام. وكم من الوقت سنستغرق لإيجاد سبيلنا إلى المغارات الجليدية والطعام المعلب الموعود؟

لم يهتم أي منا بما يكفي للتفكير بذلك. لن نموت، سيمنحنا قاذورات لأكلها بأي شكل من الأشكال. أو لا شيء على الإطلاق. أبقى آم على أجسادنا حيّة بطريقة ما، في ألم وعذاب .

نام الطائر هناك، لكم من الوقت؟ لا يهم ذلك. عندما يَملّ آم منه فلن يعود له وجود. لكن كل ذلك اللحم، كل ذلك اللحم الطري .

وبينما نحن نسير، تعالت الضحكات المجنونة لامرأة سمينة من حولنا في حجرات الحاسوب التي لم تكن تؤدي إلى أي مكان .

لم تكن ضحكة إيلين، فهي لم تكن بدينة ولم أسمع ضحكتها طيلة مئة وتسع سنوات، في الواقع، لم أكن قد سمعت... مشينا... تضورت جوعًا...

تحركنا ببطء. تكررت حالات الإغماء وتوجب علينا الانتظار. ويومًا ما قرر إحداث هزة أرضية وفي نفس الوقت ثَبَّتنا في مكاننا بمسامير منبثقة من تحت أحذيتنا. هوى نيمدوك وإيلين عندما حدث شرخ في صفيحة الأرض واختفيا عن الأنظار. وبعدما انتهت الهزة الأرضية واصلنا مسيرنا، أنا وبيني وجوريستر، فيما التحق بنا نيمدوك وإيلين في وقت لاحق تلك في الليلة التي تحولت فجأة إلى نهار حين حملهما إلينا فيلق مقدس ينشد بجوقة سماوية أغنية "Go Down Moses"[4]. دارت الملائكة مرات عديدة في السماء قبل أن تطرح الجسدين المشوهين أرضًا. ثم واصلنا المسير والتحق بنا نيمدوك وإيلين بعد فترة وهما في حالة يرثى لها .

غدت إيلين تعرج الآن. تركها آم على تلك الحال .

استغرقت الرحلة نحو المغارات الجليدية وقتًا طويلاً للغاية، من أجل إيجاد طعام معلب. ظلت إيلين تتكلم عن الكرز وكوكتيل فواكه من جزر هاواي. حاولت عدم التفكير في ذلك. بدا وكأن الجوع قد تحول إلى كائن حي مثلما تحول آم إلى كائن حي. شعرت به ينبض بالحياة في أحشائي مثلما نحن أحياء في أحشاء الأرض وأرادنا آم أن نشعر بوجه الشبه. لذلك ضاعف من حدة شعورنا

[4] أغنية أمريكية تروي قصة خروج بني إسرائيل من مصر.

بالجوع. والكلمات لا تكفي لوصف مقدار الألم الذي تسبب به عدم تناول أي طعام لأشهر عديدة. ورغم ذلك، تم إبقاؤنا على قيد الحياة. مَعِدات لم تصبح سوى قُدور من الأحماض، تُغرغر وتُزبد وتُرسل ألمًا لا يوصف في صدورنا. كان ألم قرحة المعدة العضال، السرطان العضال، الشلل العضال. كان ألمًا بلا نهاية .

ومررنا عبر كهوف الجرذان .

ومررنا عبر طريق البخار الفوّار.

ومررنا عبر أرض العميان .

ومررنا عبر مستنقع اليأس.

ومررنا عبر وادي الدموع.

وصلنا أخيرًا إلى الكهوف الجليدية التي لا يحدها البصر على امتداد آلاف الأميال، أين تشكل الجليد مثل وميض فضي وأزرق، والنجوم تقطن على الزجاج، ومتدليات الكهوف بسُمك وتألق ألماس صُنع ليتمايل كالهلام ثم جُمّد على هيئة ملساء حادة كاملة وأبدية .

رأينا كومة المعلبات وحاولنا الركض نحوها. تعثرنا في الثلوج ونهضنا وواصلنا الركض. دَفَعَنا بيني جانباً وانقض عليها وخدشها وقضمها لكنه لم يتمكن من فتحها. لم يمنحنا آم أي أدوات لفتح العلب. أمسك بيني علبة من قشور الغوافة وبدأ يضرب بها على الجليد. تحطم الجليد وتطاير لكن العلبة بالكاد اعوجت قليلا. بينما نحن نسمع ضحكات سيدة بدينة من الأعلى فوق رؤوسنا، يتردد صداها في سهول التندرا. جن جنون بيني واستشاط غضبًا وبدأ يرمي بالعلب بينما نحن ننبش في الجليد والثلج بحثا عن وسيلة لأنهاء العذاب والإحباط لكن دون جدوى .

سال لعاب بيني. ثم انقض على جوريستر ...

وفي تلك اللحظة شعرت بهدوء غريب.

محاطًا بالجنون، محاطًا بالجوع، محاطًا بكل شيء إلا الموت، كنت أعلم أن الموت هو طريقنا الوحيد للخلاص. كان آم يُبقينا أحياء لكن كانت هناك وسيلة لهزيمته. ليست هزيمة كلية، لكن على الأقل بعض السلام. سأكون راضيًا بذلك .

توجب عليّ الإسراع.

أخذ بيني يلتهم وجه جوريستر الذي استلقى على جانبه يتمرغ في الثلج. ضمّه بيني بقوة ساقي القرد القويتين يسحق خصره. ويداه ممسكتان برأس جوريستر مثل كسارة البندق وفمه يمزق لحم وجهه الطري وصرخ جوريستر بعنف لدرجة أن المتدليات سقطت بنعومة منتصبةً على ركام الثلج.

رماح بالمئات في كل مكان، بارزة من الثلج. جرّ بيني رأسه بشدة وقِطع لحم نيء بيضاء تتدلي من أسنانه .

وجْه إيلين بلونه أسود معاكس لبياض الثلج، كأحجار دومينو في غبار الطباشير، نيمدوك، لا تعابير على وجهه إلا عيناه. العينان فقط، جوريستر فاقد للوعي جزئيًا، بيني مجرد حيوان الآن. أدركت أنن آم سيسمح له باللهو وأنه لن يسمح لجوريستر بالموت لكن بيني سيملأ معدته. استدرتُ إلى يميني واستللت رمحا جليديا من الثلج.

وفي ظرف لحظة واحدة:

وجّهت الرأس الحاد بكل ما أملك من قوة مسندًا إياه على فخذي مباشرة إلى جانب بيني الأيمن فاخترق ضلوعه، ثم دفعته أعمق في أحشائه وانكسر

بداخلها. خرّ بيني على الأرض دون حراك. كان جوريستر لا يزال مستلقيًا على ظهره. سحبت رمحًا آخر ثم اعتليته وأدخلت الرمح مباشرة في عنقه. وأغلق عينيه بينما اخترقت البرودة جسده. لا بد أن إيلين قد أدركت ما قررتُ فعله، ورغم أن الخوف تملّكها إلا أنها هبّت نحو نيمدوك وبيَدها رمح جليدي قصير. وبينما هو يصرخ، أدخلته في فمه وكانت قوة اندفاعها كافية لإنهاء الأمر فقد اهتز رأسه بشدة وكأنما سُمّر على القشرة الثلجية من خلفه.

كل ذلك في لحظة واحدة.

كان هناك نبض من الترقب الصامت بدا وكأنه مستمر للأبد. كان بوسعي سماع نفَس آم يتعالى، فقد سُلبت منه ألعابه. ثلاثة منهم ماتوا ولن يستطيع إعادتهم إلى الحياة. كان بإمكانه الإبقاء علينا أحياء بفضل قوته ومهاراته لكنه لم يكن الله ولا يستطيع إحياءهم من جديد .

نظرتُ إلى إيلين وملامحها السمراء بارزة في الثلوج التي تحيط بنا وبدا على وجهها الخوف والتوسل وهي تتأهب. كنت أعلم أن أمامنا ثانية فقط قبل أن يوقفنا آم .

طُعنَت إيلين وانثنت نحوي والدم يخرج من فمها، لم أتمكن من استقراء تعابير وجهها، كان الألم شديدًا للغاية وجعل وجهها ينقبض، ربما كان شكرًا، من الممكن، أرجوك .

مرت بضع مئات من السنين، لا أعلم، استمتع آم لفترة بإسراع وإبطاء إحساسي بالوقت، سأقول كلمة الآن، الآن. استغرقت عشرة أشهر لأقول الآن. لا أعلم، ربما استغرق الأمر بضع مئات من السنين .

كان غاضبًا للغاية، لم يترك لي الفرصة لدفنهم. لا يهم، لم يكن بالإمكان الحفر في الألواح السطحية، لقد جَفف الثلج. لقد جَلب الليل. لقد زأر وأرسل الجراد. لكن دون جدوى فقد ظلوا أمواتًا. لقد نلت منه وكان يموت من الغيض. حسبت في السابق أن آم يكرهني. كنت مخطئاً، لم يُمثل ذلك حتى ذرة من الكراهية التي سالت الآن من كل دائرة كهربائية في كيانه وحرص على أن أعاني عذابًا أبديًّا وألا أتمكن من إنهاء حياتي .

أبقي على عقلي كما هو. أستطيع أن أحلم، أستطيع أن أتساءل، أستطيع أن أرثي. أتذكرهم كلهم، أربعتهم. أتمنى لو–

لكن ليس من المنطقي، أعلم أنني منحتهم الخلاص، أعلم أنني أنقذتهم من المصير الذي لاقيته وعلى الرغم من ذلك لا أستطيع أن أنسى أنني قتلتهم. وجه إيلين. ليس من السهل. أرغب أحيانا، لكن لا يهم .

أفترض أن آم مسخني من أجل راحته النفسية. لم يكن يريدني أن أركض بكل ما أوتيت من قوة وأحطم جمجمتي على إحدى وحدات الحاسوب أو أن أحبس أنفاسي إلى أن يغمى علي. أو أن أذبح نفسي على صحيفة فولاذية صدئة. توجد أرضية عاكسة هنا. سأصف شكلي كما أراه:

أنا شيء هلامي ضخم مُدور بنعومة وبلا فم، بثقبين أبيضين نابضين ممتلئين بالضباب أين كانت عيناي. زوائد مطاطية كانت يومًا ما ذراعاي، كتل مدورة نزولًا إلى أقتاب دون أرجل من مادة لزجة ورخوة. أترك أثرا رطبًا خلفي كلما تحركت، بقع مريضة رمادية شريرة تظهر وتختفي على سطحي وكأن ضوءًا يشع من داخلي .

من الخارج: أجر نفسي بوهن، على هيئة شيء يستحيل أنه كان يوما ما إنسانا، شيء غريب الشكل وممسوخ لدرجة أن البشرية تبدو قذرة بمجرد وجود شبه طفيف بها .

من الداخل: وحيد، هنا، أعيش تحت الأرض، تحت البحر، في جوف آم، الذي صنعناه لأننا أفنينا وقتنا بشكل سيء وكان علينا أن ندرك بلا وعي أن بإمكانه القيام بالمثل وبصورة أسوأ. على الأقل هم الأربعة في أمان الآن أخيرًا. سيظل آم غاضبًا بسبب ذلك وهذا يمنحني بعض السعادة . ورغم ذلك... انتصر آم... وانتقم بكل بساطة . . .

ليس لي فم ويجب أن أصرخ .

النهاية

.